رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة بين الفكرة الأولية وشمولية الموضوع

The Wind of South((Monsoon Wind) novel by Abdel Hamid Benhadouga between the initial idea and the topic's comprehensiveness.

جبور أم الخير*

جامعة محمد بن أحمد (الجزائر)

Amelkheir2020@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/10/31	تاريخ القبول: 2023/12/9	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص: تؤسس رواية ريح الجنوب لبداية الكتابة الأدبية في الجزائر باتفاق عديد المتخصصين، كما تعد مرجعية أساسية لمعظم الباحثين المهتمين بالأدب الجزائري من الناحية التاريخية لأنها تمنحهم فرصة استكشاف تفاصيل المرحلة التي سلط عليها الضوء، أي فترة ما بعد استقلال الجزائر. إنّ اشتغالنا سيمس -انطلاقا من تفاصيل النص - الجانب البنائي وخاصة الفكرة والموضوع، فهل ثمة سحر في موضوع هذا العمل السردي وهل نجد انسجاما وتناغما بين الموضوع الذي جسده الروائي كتابيا على امتداد صفحات هذا العمل وما كان ينتظره القارئ العربي من إمتاع وإعجاب. إذن سنقارب في بحثنا جوانب فكرية متعلقة بآليات التفكير عند الروائي وصلتها بالفني والجمالي. كما أننا سنشتغل على أهم المرجعيات الفلسفية والدينية والأدبية التي اعتمدها " عبد الحميد بن هدوقة في عمليتي الانتقاء والعرض. وسنقف عند أهم القوائم التي قابلها الروائي بالرفض أو القبول (الموروثات القديمة، صوت الأنثى، التجديد والتغيير...)

كلمات مفتاحية: الرواية ؛ المرأة؛ الجزائر؛ عبد الحميد بن هدوقة؛ الواقع.

Abstract

The South Wind is arguably believed to have established the preliminary building blocks of the Algerian literature. It is similarly regarded as a key reference for the vast majority of researchers interested in the historical aspect of the Algerian literature owing to the fact that it endows them with the opportunity to explore the historical period their research is interested in uncovering, that is, post-Independence Algeria. Our research preoccupations will, based on the novel's ideas, touch upon the structural aspect thereof, more particularly its topic and theme. Is there any sort of peculiar in Benhadouga's narrative? Do we really find receptibility and harmony between the novel's theme and what the Arabic reader expects to receive from it? Given this, we shall seek to look at the relationships existing between the novelist's thinking mechanisms, on the one hand, and the artistic and aesthetic aspects, on the other. We shall also base our analysis on authoritative philosophical, theological and literary resources that Benhadouga utilized in the selection and presentation processes. The research will furthermore dwell on the different resources that the novelist accepted or discarded from informing his literary work, such as old legacies, female voices, renewal and change, to name just a few.

Keywords :novel; women; Abdel Hamid Benhadouga; Algeria; reality.

1.مقدمة:

تعد رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة من الكتابات الإبداعية التي لاقت اهتماما نقديا من قبل عديد الباحثين الجزائريين والعالميين وخاصة بعد ترجمتها وانتشارها بين القراء الأجانب ، وقد ساهمت عملية اقتباسها سينمائيا في وصول اسم كاتبها وكذا موضوعها إلى جمهور واسع لم تتح له فرصة قراءتها بشكل مباشر. كما صُنف هذا النص السردي -في نظر

معظم الدارسين المهتمين بالأدب الجزائري- كمرجعية أساسية للتاريخ السياسي والواقع الاجتماعي للفرد الجزائري القاطن بالأرياف. فتفاصيل الكتابة التي سجلها الروائي منحتهم فرصة استكشاف المرحلة القريبة من استقلال البلاد وبعض الأسرار المتعلقة بعلاقة ملاك الأرض بالجهات السياسية وكذا حالة التشتت والتمرد التي عاشها الجيل الجديد.

1. الرواية:

بداية ينبغي أن نشير أن معظم الدراسات النقدية الحديثة، تكاد تنصب على الرواية دون بقية الأجناس الأدبية الأخرى، لأنها الأكثر اهتماما بتصوير الإنسان وعلاقته بالمجتمع. فالرواية كما أطلق عليها جورج لوكاش هي ملحمة بورجوازية لأن ظهورها حتى، إن كان متأخرا في الجزائر مع نهاية القرن العشرين، لكنها كمشروع أولي رأت أول محاولاتها ثم طورت من أدواتها وتقنياتها في دول أوروبا قبل ذلك بكثير (في القرن التاسع عشر)، وأفضل نموذج يُذكر دون تردد هو بلزاك الذي عاش بين 1799 و 1850 وكتب روائع عديدة كالأب غوريو والكوميديا الإنسانية وأوهام مفقودة، والرواية الروسية التي وصلت إلى قمة مجدها عند كل من دوتويفسكي (1821 و 1881) صاحب "الجريمة والعقاب، والإخوة كرامزوف والأبله والشياطين والمقامر والمساكين وكذا تولستوي (1828 و1910) صاحب روايتي الحرب والسلم وآنا كارينينا)

ويمكننا أن نشير إلى أن لوكاش قد تتبع تاريخ الرواية واستوعب التفاعلات الداخلية لعملية التحول، بمنهجه التاريخي الجدلي، فقسم مراحل الرواية إلى:

1. الرواية في طور الولادة: مع بداية المجتمع البورجوازي (رابليه، سرفانتس)، وبروز الإرهاصات الأولى لتناقضات المجتمع البورجوازي –طغت فيها الخاصية الأسلوبية- الغرابة .

2. مرحلة اقتحام الواقع اليومي: تحولت البورجوازية إلى طبقة سائدة في المجتمع، فانكمش عنصر الغرابة، وأصبح البطل البورجوازي إيجابيا، فهو يحمل مبادئ عالية يدافع عنها وينتصر دوما في نهاية الرحلة .

3. مرحلة شعر الملكوت الحيواني الروحي: سيطرت الرومانسية سيطرة شبه كلية في هذه الحقبة ثم تم تجاوزها.

4. مرحلة المدرسة الطبيعية وانحلال الشكل الروائي: (مرحلة نهاية البورجوازية)، ابتداء من 1848، وهنا زعم لوكاش أنه كلما ازداد الصراع الطبقي بين البورجوازية والبروليتاريا وضوحا للعيان انجر عنه زوال فن الرواية، واقترح ناقدنا فلوبير وزولا كممثلين حقيقيين لهذه المرحلة، فهما يمتلكان معا الميول الأساسية لانحلال الشكل الروائي .

5. مرحلة الواقعية الاشتراكية: حيث أصبح العمال ينظرون للصراع الطبقي نظرة تختلف عن البورجوازية، فوضحت الرواية وعى العامل وأعطته صورة البطل الإيجابي، هذا البطل الذي ينتقد في السرد الروائي الموروث البورجوازي بتناقضاته، "الأم " لمكسيم غوركي.

إضافة إلى هذه المراحل، ربط ناقدنا بين ثورة 1848 ومنعطف تاريخ الرواية بأوروبا الغربية دون سواها، إذ أكد تأخر مرور روسيا بمثل هذا المنعطف في تطورها الاجتماعي كله إلى غاية 1905.[1]

2. الرواية الجزائية التأسيس والانتشار:

أما في الجزائر فكانت أول رواية كتبت باللغة الفرنسية سنة (1920) للقايد بن شريف (1879.1921) تحت عنوان "احمد بن مصطفى قومي" ثم تبعت بروايات أخرى، ففي سنة(1925) أصدر " عبد القادر حاج حمو " (1891.1955) رواية تحت عنوان "زهرة زوجة

المنجمي" و قد عدت هذه الرواية لفترة طويلة هي الأولى في تاريخ الأدب الجزائري. إذن بين سنة (1919 و 1944) ظهرت ثماني روايات جزائرية وبين (1945 و1951) صدرت ست روايات منها سنة 1950 رواية "ابن الفقير لمولود فرعون على حساب الكاتب[2] .

كتبت رواية ريح الجنوب مع نهاية 1970 ، أي منذ ما يفوق الخمسين سنة، فعبد الحميد بن هدوقة يذيل النص السردي بتاريخ 5 نوفمبر 1970 الموافق ل 27 رمضان 1390 هجري، لكننا نشعر وكأنها تصف الراهن والحاضر بتفاصيله. أما زمن الحكاية فتموقع ما بعد الاستقلال مباشرة، ونجد الروائي يكشفه في الصفحة 108، حينما تراسل نفيسة خالتها مسجلة تاريخ أوت 1964. وثمة إشارة ثانية وهي تدشين مقبرة الشهداء، فالأكيد إذن، أن الأحداث تتحرك في زمن ما بعد نهاية الحرب التحريرية.

إن الرواية قصة ، و كل قصة تتطلب نظاما قد ينعت بالطبيعي ويكون مقيدا بمنظومة تخضع للعقلية والترتيبية، والروائي الحقيقي هو من يمتلك القدرة على سرد هذه القصة. وأهم ما ينبغي أن يحكى يقع بين البداية والنهاية. ففي رواية " ريح الجنوب " نجد أن القصة الطاغية هي هروب البطلة ثم التعدي على صاحب الأراضي بالضرب. أما في الحكاية فلا يُكتفى بالخطوط العريضة والأساسية وإنما يذكر الأسباب والنتائج والجزئيات التي توضح الشمولية أو الكلية.... وهذا ما أنجزه " عبد الحميد بن هدوقة" سرديا عن طريق مزج تجربته الشخصية مع الأحداث الخيالية لأبطال هذه الرواية.

واللافت للنظر في رواية " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة أن هذه الصياغة وردت في الصفحة الأولى بل في السطر الأول ، والعنوان ينقل لنا حالة مناخية يعيشها الجزائري باسم القبلي أو السيريكو وهي حالة من السخونة والغبار تغطي المناطق التي تهب عليها هذه الريح ، ولكن العديد من المختصين يرون أن هذه الحالة تسمح بنضج الثمار كما تقضي على عديد الميكروبات. أما سرديا فلا نعلم علاقة هذه الريح بالقصة التي تم عرضها في هذا النص الإبداعي، فهل قصد بها الروائي الجانب السلبي والمكروه في حياة الشخصيات أم

كان يراها إيجابية. توحي هذه الريح بالحزن والعزلة والخوف والموت. وهنا نتذكر ما ذكره "إيكو" عن ضرورة أن يخلق العنوان نوع من التشويش في ذهن القارئ[3].

يمتلك الروائي رؤية ورسالة، ولهذا السبب فهو دوما يسعى لمناقشة الأفكار التي تلح عليه في مختلف اللحظات الحياتية. والتي تتزاحم على مخيلته وتحاول أن تفرض نفسها، دفعة واحدة وأحيانا أخرى عبر أعمال متعاقبة. وقد سعى الروائي أن يوصل لنا رؤيته وتصوراته الشخصية عن فترة حساسة مرت على الجزائر انطلاقا من فضاء ريفي محدود، إذ تم التركيز على هذه القرية ولم نر الشخصيات المنتقاة تنتقل إلى فضاء آخر هو المدينة مثلما يحدث عادة في روايات أخرى. وكأن مشروع " عبد الحميد بن هدوقة " استهدف أن ينتهي القارئ إلى استيعاب فكرته الجوهرية وتقبلها بسلالة وهدوء، من منطلق أن فهم الأثر الفني هو فهم الحقيقة[4] .

إن فهمنا لهذه الرواية يساعدنا على فهم المرحلة الأولى لما بعد استقلال الجزائر. وفهم بداية المشروع الوطني المتعلق بالإصلاح الزراعي أو الفلاحي وإعادة تقسيم الأراضي وتأميمها. هذا المشروع الذي تدحرج بين الرفض والقبول الشعبي[5] .

وربما كان الجاحظ محقا حينما صرح أن الأفكار ملقاة على قارعة الطريق يعرفها العجمي والعربي، البدوي والقروي، إنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر الألفاظ. فكل ما ورد ذكره في الرواية كان معروضا يراه ويدركه جميع الجزائريين وما أنجزه الروائي "عبد الحميد بن هدوقة" تلخص في إظهار هذه التصورات وانتقاء ما يتوافق مع مبادئه وتوجهاته.

وضمن ما تم مناقشته من أفكار وجدنا أن كاتبنا ركز على نقطتين أساسيتين: النقطة الأولى متعلقة بمسألة سياسية وإيديولوجية حدثت في تاريخ الجزائر وهي تأميم الأراضي الزراعية وانتزاعها من كبار الملاك. أما النقطة الثانية فهي متشعبة الأوجه، متعلقة بصلة سلطة الأب أو (الوطن) بين التضحية بالذات لإبقاء الأبناء. وكأن سؤال الروائي تمحور حول: هل يضحي الآباء من أجل الأبناء أم يحدث العكس؟؟؟ والوجه الثاني هو قضية تحرر المرأة

الجزائرية ممثلة في البطلة نفيسة الراغبة في التعليم والعمل والانتقال إلى مكان أفضل بعيدا عن قيود قريتها.

وبالعودة إلى رواية " ريح الجنوب "نلحظ أنها أقرب إلى الحياة العادية، لأنها نقلت لنا كلية <الأشياء> حينذاك واعتمدت على التركيز الفني لما هو نموذجي، من حيث الشخوص والظروف والمشاهد ولهذا اعتبر لوكاتش أن كلية الفن تكمن في طرحه الجزئي. [6] فقد ركز الروائي " عبد الحميد بن هدوقه " على شخصيات محدودة العدد يسهل حصرها وتذكرها بسهولة، حتى بدا لنا وكأن القرية فارغة أو مهجورة، أما الأمكنة فتراوحت في بضعة بيوت بسيطة ومقهى صغير.

كان الموضوع الرئيسي في الرواية المجتمع، بينما المعالجة فكانت أبطأ وأكثر تفككا في علاقة العام بالخاص. ويمكننا أن نوضح ذلك من خلال شخصية عابد بن قاضي، إذ مثّل كل ملاك الأراضي المتخوفين من القانون الجديد الذي يسعى لانتزاع الأراضي بقوة السلطة القانونية، وقد بدت لنا مقاربة الروائي لهذا الموضوع أو المشروع مقاربة محتشمة وجانبية بحيث طغت قصة "نفيسه "البطلة وأحلامها الشبابية على الفكرة الأولية والمحركة لكل الرواية.

يختار المبدع والروائي –عادة- الفكرة والموضوع كإجراء أول قبل الشروع في تشكيل بناء العمل السردي وتسيير دلالات التعبيرات الموظفة، وتعد الفكرة في الرواية هي النواة التي تتولد منها تفرعات النص المكتوب. وينبغي أن نحدد من خلال الموضوع نوعية اختيارات الروائي.

في تتبع الموضوع نقف عند المعنى الظاهر والمعنى الخفي. ولعبد الحميد بن هدوقة أسلوب مميز في الكتابة نلحظه في أغلب رواياته وتتمثل أبرز أدواته في الاستعانة بالرمز والتلميح لا التصريح فهو يتحدث في روايته " ريح الجنوب " عن العجوز رحمة التي أمضت حياتها في صنع الفخار دون أن تغادر كوخها المتواضع، محافظة على تاريخ القرية من خلال أواني الفخار والرسومات التي تزينها ثم تنتهي حياتها بالموت وحيدة دون أن تتلقى التكريم

المناسب على كل الأشغال التي توزعت في بيوت المنطقة وربما خارجها وعلى مساعدتها للمجاهدين أثناء الثورة التحريرية. وفي التلميح كذلك يلمس القارئ إشارة الروائي إلى انتشار ظاهرة الإشاعات في توجيه مسار الأحداث الحقيقية والخيالية. فمشروع الزواج بين نفيسة ومالك لم يكن إلى نتيجة إشاعة أطلقها عابد بن قاضي، وكأن هذه الشخصية التي طبعت بالدهاء والخيانة ماضيا وحاضرا كانت تعلم أن عديد الحقائق الكبرى أو الصغرى تبدأ بإشاعات يُجهل مصدرها .

وهناك الأنا المبدعة التي تتفاعل مع العالم الخارجي والواقعي من خلال تفاعل ثان هو أحداث وشخصيات النص المسرود. و كما يقال فإن الفن إثبات للتكرارات ولعب عليها. [7] فالموضوع المنتقى عادة يتشكل من النقاط المتأزمة لحظة الكتابة، فالكاتب كما لقبه بذلك بلزاك هو سكرتير الشعب، يسجل ما يشاهده كفاعل مشارك . والأمر الفاصل في هذه الرواية انصب على ما أقدمت عليه السلطات الحاكمة حينذاك من تشريع لتأميم الأراضي الزراعية ونزع الملكية الإقطاعية بشكل إلزامي، وما تبعه من تخوف بين الطرفين السياسي والمالي، مع سعي كل طرف إلى الانتصار لمصالحه مهما كانت الوسيلة أو الطريقة.

إن قوة الرواية تمتحن انطلاقا من قدرتها على التماهي identification ويحدث ذلك حينما نتمكن من رؤية أنفسنا من خلالها. ونحن كقراء نستشعر حالة من الامتداد الفكري بين ما ورد من جزئيات سردية بين طيات صفحات هذا العمل وواقعنا الراهن، فمعاناة المرأة الجزائرية لا تزال مستمرة بقيود العادات والتقاليد وسلطة الذكر ممثلا في الأب أو الأخ أو الزوج كما كانت في الماضي، ومن جهة ثانية وقفنا عند رغبة الشباب في حل مشاكلهم الاجتماعية بالهروب لا المواجهة كما تصرفت " نفيسة" سابقا وحاضرا . وكما بدأ "مالك" (المسؤول) يفكر ، حينما اعتبر بقاءه مجرد وهم وأن التغيير صعب جدا.

أما عن تجانس عناصر العمل الأدبي الحكائية فهي معقولة ومنطقية، فثمة تسلسل في الأحداث وفي الزمن بحيث مكننا هذا التناغم من إمساك الخيط إلى غاية الصفحة الأخيرة،

تمظهر تلقي النصوص المصاحبة (النصوص الدينية و النصوص الأدبية و الثقافية) انطلاقا من مشاهد أقرب إلى التسجيلية والتصويرية، فمثلا ثقافيا، نقل الروائي حركات العجوز بتحريك رأسها إشارة إلى موقف معين، وهذه الصيغ تحتاج إلى مشاركة بين مخيلة الكاتب والقارئ الجزائري حتى يتمكن هذا الأخير من فهمها. ولا نظن أن قارئ أجنبي سيسهل عليه استيعاب هذه الإشارات بنفس الطريقة.[8] أما عن النصوص الأدبية فقد أكثر الروائي من الصيغ العادية والأمثال الشعبية فمثلا شبه المعلم طاهر قوة ذاكرته بصياغة متداولة في الأوساط الشعبية وهي "رأسه خفيف.[9] "

بالنسبة للتأمل في الزمان وفي المكان، فتجلى في هذا النص السردي من خلال وقفات تصويرية لفضاء القرية بخرابها، فالوصف الذي ورد على لسان البطلة " نفيسة" في أكثر من مشهد عكس حالة الكره لكلية المكان بتفاصيله ورغبة ملحة على المغادرة والرحيل، بخيارات مختلفة كالانتحار أو الهروب" إن الحياة التي نحياها الآن بين أهلنا لا تختلف عما قرأته بخصوص ما قبل التاريخ." [10]

يرى الناقد أيفور أرمسترونغ ريتشارد Ivor Amrmstrong Richards مؤسس النقد الأدبي الحديث أن الجمال ليس صفة كائنة في الأشياء أو في الأعمال الفنية ، بل هو عبارة عن خبرة شعورية يمر بها المتلقي " [11] و هذا القول لا يبتعد عن الحقيقة إذا طبقنا تجربة قراءة الرواية على أنفسنا فما يميز هذا النص يتجاوز الجانب اللغوي والبنائي إلى ما نعيشه مع شخصيات العمل وخاصة بعدنا تتبعنا الأحداث المنتقاة دون غيرها.

وقد ناقش فيها عبد الحميد بن هدوقة فكرة أساسية متعلقة بالمرأة المحافظة ، متسائلا حول احتمال تحول شخصيتها بعد تلقيها درجة معينة من التعليم في المدينة، ومستعرضا طرق مواجهة هذه المرأة لسلطة الأب وللتقاليد ولكل الممنوعات التي تفرض عليها دون إرادتها ورغبتها؟؟؟ كما نجد فكرة أساسية ثانية متعلقة بعلاقة الأبوة والأبناء أو بصياغة أخرى: علاقة الوطن بالشعب والجدلية الثنائية الاتجاه التي تتمحور بين التضحية لأجلهم أو

بهم؟؟؟ فهل ينبغي أن نقدم أفرادا من الشعب لأجل بقاء الأرض أم الأفضل أن نتنازل عن الأرض لأجل الحفاظ على حياتهمّ،" الأبناء هم الحل. " هكذا ذكرت إحدى الشخصيات في نصنا السردي.[12]

إذن بعد إتمام قراءة الرواية يكتشف القارئ أن الروائي قد قارب موضوع الإصلاح الزراعي وتوزيع الأراضي على الفلاحين -انطلاقا من رؤية بعض الشخصيات الموظفة في النص السردي - وقد لاحظنا أن الفكرة نفسها ناقشها تولستوي في روايته " آنا كارينينا". حتى وإن كان الظاهر قصة رومانسية موضوعها الحب والخيانة.

إن ما نستغرب له في هذه الرواية التي كتبت منذ خمسين سنة أن الكاتب امتلك فيها رؤية مستقبلية عن هروب الشباب ممثلا في البطلة نفيسة، وكذا عدم تأثير الخطاب الديني رغم إلحاح القائمين عليه، تقول رحمة وهي تحاور زوجها المتوفى أمام قبره: " لست أدري لمن نبني هذه المساجد ؟ الناس لا يصلون، ولا يعملون، فمنذ الاستقلال وهم لا يعرفون إلا القيل والقال[13] ".

لقد قدم السارد أغلب الشخصيات التي تواصلت منذ الصفحة الأولى إلى غاية نهاية المؤلف (عابد وابنه عبد القادر وابنته نفيسة والراعي رابح ومالك شيخ البلدية) ولكن التركيز منذ البداية انصب على نفيسة، الفتاة الشابة البالغة الثماني عشرة سنة، الكسولة التي تمضي يومها في فراشها متذمرة ومشتكية من حياة الريف، الرافضة لكل حركة حتى مساعدة والدتها في أعمال البيت. نفيسة فتاة متمردة ترفض تقاليد القرية وسلطة والدها وترفض أن تشبه والدتها التي تراها ضعيفة ومستسلمة، بعيدة عن الصورة التي شكلتها عن نساء المدينة، ولهذا يراها القارئ قاسية القلب، غير ناضجة كفاية. فهي رافضة للجميع دون استثناء ما عدا نفسها، نجدها معجبة بجمالها وبثقافتها لاعتقادها أنها مختلفة عن البقية.

لقد عرفت نفيسة بعد تواجدها في العاصمة للدراسة الجامعية الأفضل وتعرفت على الحضارة والتحضر التي افتقدتهما في قريتها البسيطة، وها هي الآن تبدأ عطلتها في لحظة من هذا الحدث الروائي بالتشكي من تفاهة حياتها وبالتعبير عن حالة من الملل والفراغ.

تكره نفيسة الفضاء الذي تتواجد فيه وتراه لا يصلح للحياة الكريمة، فهو قبيح وفوضوي، يقول الروائي على لسانها: " أظن أن القنابل الذرية التي يتحدثون عنها لا تستطيع أن تجعل مكانا أشد خرابا" [14]، فحتى غرفتها لا تعجبها فهي ضيقة وخالية من الأثاث. ولهذا نجدها تُشبّه حالتها بحالة النفي والسجن وحياة ما قبل التاريخ. ولم تكن نفيسة وحيدة في كرهها للفضاء بل حتى المعلم طاهر يُشبّه القرية المركزية في حالتها الراهنة بتلك القرى التي تعرضت لنكبة حربية أو كارثة طبيعية. فهي مليئة بالغبار والذباب والناموس. أما الطرق فهي غير معبدة تستغرق السيارات ضعف الوقت المطلوب لإتمام رحلتها.

ونفيسة المحطمة نفسيا ضمن توصيفات السارد والتي أشرنا إليها سالفا، تجد نفسها محط اهتمام رجال القرية، يحبها "مالك" لأنها تذكره بخطيبته السابقة، فهي صورة مكررة لأختها الشهيدة، كما لفتت انتباه المعلم "طاهر" لجمالها الذي تناقله أهالي القرية في جلساتهم الضيقة، وفُتن بها الراعي "رابح " بعد تتبعها وإنقاذها من موت مؤكد وسط الغابة، لكنها تختار التجاهل والرفض والهروب والرحيل. و"نفيسه" هنا أقرب إلى الصورة الرمزية التي تحيل إلى الجزائر، فالجميع يرغب في ودها ،لكنها لا تفكر إلا في تحررها دون وصاية من أحد.

أما والد نفيسة "عابد القاضي" فشخصية متناقضة وغامضة، نجده -طوال أحداث الحكاية - منشغلا بكيفية الحفاظ على أراضيه وأملاكه، خصوصا بعد انتشار شائعة قانون الإصلاح الزراعي ، ماضيه بعيد عن الشرف، لأنه من الخونة إذ ساهم في تدمير قريته وتقتيل شبابها وفي مقابل ذلك فهو أب شهيدين. [15] ولهذا من الصعب تصنيف هذه الشخصية النموذجية التي نصادف من يشبهها في حياتنا، إذ تجمع بين الشر والخير.

أحداث كثيرة تتكرر في هذه الحكاية ، فالخطوبة التي حدثت بالفعل بين مالك وزليخة (أخت نفيسة) سنة 1957 وهي في سن الثماني عشرة سنة ، تعود مرة ثانية و في الوقت الراهن من خلال الإشاعة التي أطلقها الأب عابد بين مالك وابنته الثانية نفيسة. الشبه الشكلي بين زليخة ونفيسة يتكرر، فهما كقطرتي ماء.[16]

يعرف " توماشفسكي Tomachevski "المضمون « thème » و الموضوع « motif » على أساس أن كل عمل يمكن أن يكون له مضمون عام ، و في الوقت نفسه يكون لكل جزء من أجزاء العمل الأدبي مضمونه الخاص به ، و هذا التقسيم قد يصل بنا إلى وحدات لا يمكن تجزئتها ، فيكون محتوى تلك الوحدات الصغيرة التي لا تقبل التقسيم موضوعا .

أما عن أنواع المضامين في رواية "ريح الجنوب " فهي كالتالي:

1. المضامين السياسية ، مضمون النضال أثناء الثورة التحريرية وما يشتمل عليه من مضامين جزئية كالحرية والكرامة الوطنية والبحث عن حلول من خلال بعض القوانين كتأميم الأراضي.

2. المضامين الاقتصادية السياسية ، إلى جانب النضال ، فقد اهتم الروائي بالفقر في القرى الجزائرية وانعكاس ذلك على التدني الفكري وتراجع الوعي.

3. المضامين الاجتماعية : تمثلت في انتشار الإشاعات والقيل والقال بين الأهالي.

4. المضامين الاجتماعية الثقافية ، يعكسها مضمون الصراع بين قطبين هما القرية والمدينة من جهة وجيلي الشباب والشيوخ من جهة ثانية .

وما يُلمس في كل هذه المضامين، ميزة طاغية هي سيطرة الدهاء والمال على فئة ما، بحيث ينقاد الجميع لها دون الإحساس بالقهر أو الضغط. وداخل المجموعة يبرز الأكبر سنا

"عابد بن قاضي" ليحل مشاكل العائلة ويتخذ القرارات المصيرية التي تصب في مصلحة الفرد والجماعة .

أما الميزة الثانية فهي تمرد شخصيات الرواية ورغبتها في الهروب، لقد وضح الروائي -من خلال أحداث ووقائع وسلوكيات الشخصيات- حالات وجدت سابقا ولا تزال إلى وقتنا الراهن، تحاول أن تتعايش مع الحياة والعالم والبشر قبل أن تقرر المغادرة ولكن محاولتها تنتهي بالفشل وخيبة الأمل.

الخاتمة

تمكننا بعد متابعة هذه الرواية قراءة وتحليلا أن نصل إلى قناعة نقدية مفادها أن الروائي " عبد الحميد بن هدوقة " بادر بوضع الحجر الأساس لانطلاق الكتابة السردية المسماة "الرواية الجزائرية" بأدوات متواضعة وبسيطة، وقد سعى إلى مناقشة قضية إيديولوجية بأسلوب سطحي وجزئي بعيدا عن العمق المطلوب والغوص في جوهر القضية الممثلة في " تأميم الأراضي الزراعية" ولهذا لم يصل القارئ إلى إمساك الموقف الشخصي للروائي من هذا المشروع السياسي، بين الرفض أو القبول. كما لاحظنا أن نهاية الرواية افتقدت إلى الوضوح، فكانت أقرب إلى المفتوحة، وكأني بعبد الحميد بن هدوقة يرمي فكرته إلى القارئ منتظرا منه المشاركة بإنهاء القصة.

قائمة المراجع:

- جورج لوكاتش،(1979)، الرواية الملحمية بورجوازية: ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة بيروت.
1.Jean Déjeux, (1982)Situation de la littérature maghrébine de langue française, éd Office des publications universitaires , Alger .
- عبد الحميد بن هدوقة ، (2012)،ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر .
- عبد المالك اشهبون،(2011)، العنوان في الرواية العربيةمحاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق سوريا ،
- محمد شوقي الزين ،(2002)، تأويلات وتفكيكات ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب
عبد العالي معزوز، فلسفة الصورة ،الصورة بين الفن والتواصل ، ر إفريقيا الشرق ،المغرب 2014.

- غاستوف باشلار، (2020)،جماليات الصورة ، الطبعة الأولى ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع تر غادة الإمام
- جورج لوكاتش،(1986)،الرواية التاريخية، ترجمة: د. صالح جواد الكاظم، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق.
- عبد العالي معزوز،(2014)، فلسفة الصورة ،الصورة بين الفن والتواصل ، ر إفريقيا الشرق ،المغرب.

[1]) ينظر جورج لوكاش، الرواية كملحمة بورجوازية، ص: 10-20

[2]) ينظر.Jean Déjeux, Situation de la littérature maghrébine de langue française,p p19-20

[3])ينظر عبد المالك اشهبون،(2011)، العنوان في الرواية العربية، دمشق سوريا ، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، ص23.

[4]) محمد شوقي الزين ،(2002) تأويلات وتفكيكات ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب الطبعة 1،ص 38

[5]) بعد تنحية الرئيس بن بلة وتولي الرئيس هواري بومدين الحكم سنة 1965 لم يضع قطاع الفلاحة ضمن اهتماماته السياسية ولكن الأمر تغير بعد صدور المرسوم 71 73 في نوفمبر 1071 المتعلق بالثورة الزراعية ومبدأ " الأرض لمن يخدمها"

[6]) ينظر جورج لوكاش، الرواية التاريخية، ص:122 .

[7]) عبد العالي معزوز،(2014)، فلسفة الصورة ،الصورة بين الفن والتواصل ، ر إفريقيا الشرق ،المغرب ، ص 106

[8]) عبد الحميد بن هدوقة ،(2012)، ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر، ص 18.

[9]) عبد الحميد بن هدوقة ، (2012)، ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،ص87.

[10]) عبد الحميد بن هدوقة ،(2012)، ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ص 38.

[11]) غاستوف باشلار، (2020)،جماليات الصورة ، الطبعة الأولى ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع تر غادة الإمام، ص 22.

[12]) عبد الحميد بن هدوقة ، (2012)،ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،ص 55.

[13]) عبد الحميد بن هدوقة ،(2012)، ريح الجنوب، دار القصبة للنشر، الجزائر ،ص25.

[14]) عبد الحميد بن هدوقة ، (2012)، ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،ص 6.

[15]) عبد الحميد بن هدوقة ،(2012)، ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،ص 63.

[16]) عبد الحميد بن هدوقة ،(2012) ريح الجنوب، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،ص 70.